على أطراف الذاكرة

سلاطنية رحمة

معيز شمس الاسلام

نسمات الأدب

Samar Hamdan

على أطراف الذاكرة

سلاطنية رحمة
معيز شمس الاسلام

للنشر الالكتروني

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : على أطراف الذاكرة

المؤلف: سلاطنية رحمة و معيز شمس الاسلام

غلاف الكتاب: سمر حمدان

موك اب الكتاب : منة محمد

تنسيق داخلي: منى مجدى

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

المقدمة

حين مات أبي .. تعلمت الغفران ليس كل من حمل لقب "أب" كان أبًا فعلاً..

بعض الآباء مرّوا في حياتنا كعابرين لم يتركوا لنا إلا الأسئلة ، ولم يمنحونا إلا خيبات الطفولة.

كان أبي واحدًا منهم .. رجلًا لم يكن سندًا ، لم يعرف كيف يحب ، ولم يتعلم كيف يكون وطنًا لأبنائه.

في كل لحظة كنت أحتاجه فيها ، كان الغياب جوابه ..

وفي كل موقف انتظرت فيه حضنه حضر بالصمت أو القسوة.

لكنه رحل..وفي رحيله ، حدث ما لم أتوقعه : نسيت كل شيء..

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

كل الأذى، كل القسوة ، كل خذلان.

وكأن الموت جاء ليطهر قلبي من وجعٍ ظننته خالدًا.

هذا الكتاب ليس انتقامًا..

إنه بوحٌ متأخر ، ورسالة غفران لم تُقال في حياته.

هو محاولة لفهم ، لفك شيفرة الغياب ولجمع شتات الذكريات بين ما كان وما تمنيت لو كان.

إلى كل من عاش نصف أب..

إلى كل من وجد القوة في قلبٍ لم يُدلّه أحد..

هذا الكتاب لكم ، ولقلبي.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الأول

لا ادري اكتب لك ... ام عليك؟

قلــبٌ يتــوق للحــديث معــك ، وروحٌ تحتــرق من بُعدك.

بحثــتُ عــن طريقــي إليــك وســط ظــلامٍ لا ينتهي ، كلما اقتربت، ابتعدتَ..

كلما حاولت أن أراك ، أغلقتَ الأبواب.

تركتنــي أعــيش يتمًــا ، رغــم أنــك كنــت علــى قيد الحياة.

واليــوم .. أعيشــه مــن جديــد ، لكــن بطريقــة أشدّ وجعًا ، أشدّ صمتًا..

لأنــك رحلــت ، ولــم تتــرك لــي ســوى بقايــا ملابــس قديمــة ، وذكريــاتٍ بالكــاد تُســمّى ذكريات.

أنــا أكتــب الآن ولا أدري : أكتــب لــك أم عنــك؟ .. أبــوح بمــا فــي قلبــي ، أم أعاتبــك

بصـــوتٍ لـــم يكـــن مســـموحًا لـــي أن أرفعـــه حين كنت حاضرًا؟

حضن لم يحدث...

اولـــى ذكريـــاتي معـــه لـــم تكـــن بتلـــك الروعـــة لحظـــات بســـيطة ليـــد قاســـية تمســـك يـــدي لاقـــف لا لتحضـــنني لصـــوت يـــأمر لا يطمـــأن او يسأل

كنـــت طفلـــة لـــيس ككـــل الاطفـــال .. اعـــيش تحـــت ســـقف بـــارد حيـــث الحنـــان مؤجـــل و الابـــوة ... تقـــف عنـــد حـــدود الانفـــاق و التعليمات..

كنـــت اصـــمت حـــين كـــان الاطفـــال بالمدرســـة يتفـــاخرون بأبـــائهم لـــيس لاننـــي لا املـــك ابـــا بل لاني لا املك حكاية..

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

كنـــت اخافـــه .. نعـــم ولا اخجـــل مـــن قولهـــا كـــان الخـــوف هـــو اللغـــة الوحيـــدة التـــي فهمتهـــا منـــه ، لغـــة لا تحتـــاج الـــى عنـــاق ولا الـــى كلمـــات طيبـــة ، فقـــط نظـــرات بـــاردة وصمت .. وبعض الصراخ.

لكنـــي لـــم اكرهـــه .. كنـــت احبـــه فـــي ســـري كنـــت فقـــط انتظـــر لحظـــة واحـــدة ان يرانـــي لـــيس كطفـــل مـــزعج بـــل كأبنتـــه ، ان يســـمعني لا ليصـــحني بـــل ليفهمنـــي .. ولـــم تأت تلك اللحظة..

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثاني

"١"

احضن لم يحدث

اولـــى ذكريـــاتي معـــه لـــم تكـــن بتلـــك الروعـــة لحظـــات بســـيطة ليـــد قاســـية تمســـك يـــدي لاقـــف لا لتحضـــنني لصـــوت يـــأمر لا يطمـــأن او يسأل

كنـــت طفلـــة لـــيس ككـــل الاطفـــال .. اعـــيش تحـــت ســـقف بـــارد حيـــث الحنـــان مؤجـــل و الابـــوة تقـــف عنـــد حـــدود الانفـــاق و التعليمات....

كنـــت اصـــمت حـــين كـــان الاطفـــال بالمدرســـة يتفـــاخرون بأبـــائهم لـــيس لاننـــي لا املـــك ابـــا بل لاني لا املك حكاية..

كنـــت اخافـــه .. نعـــم ولا اخجـــل مـــن قولهـــا كـــان الخـــوف هـــو اللغـــة الوحيـــدة التـــي فهمتهـــا منـــه ، لغـــة لا تحتـــاج الـــى عنـــاق ولا

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الـــى كلمـــات طيبـــة ، فقـــط نظـــرات بـــاردة وصمت وبعض الصراخ.

لكنـــي لـــم اكرهـــه .. كنـــت احبـــه فـــي ســـري كنـــت فقـــط انتظـــر لحظـــة واحـــدة ان يرانـــي لـــيس كطفـــل مـــزعج بـــل كأبنتـــه ، ان يســـمعني لا ليصـــحني بـــل ليفهمنـــي ولـــم تأت تلك اللحظة

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

"٢"

الغياب الذي لم اختره

حين انفصل والداي لم يسأل احد عن رأيي انقسم البيت وانقسم معه شيئ في داخلي ..ابتعد ابي عنا ، ل لا اراه ، لا اسمعه ، لكن كنت اشعر بضله كأنه معي كغصة لا تغادر قلبي الصغير

انفصال والدي لم يمزقالبيت فقط بل مزق في داخلي يقين الطفولة بأن الآباء لا يشعرون

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثالث

ابتعادٌ مفروض وصورة بشعة

كان الابتعاد عنك أمرًا لم نختاره ، بل فُرض علينا كأمرٍ واقع.

لا خيار لدينا سوى تقبله أم ، لكن ذلك لم يمنعنا من أن نلعن كل لحظة من لحظات الاغتراب التي عشناها.

نعم ، كنت بعيدًا عنا .. لكنك لم تكن غائبًا عن كل شيء.

كنت تعيش هناك ، في مكان آخر بينما كنا نحن نعيش في سجنٍ من الصمت ومن غيابك الذي أصبح وجعًا أبديا.

وكان هناك من يشمت ، ممن كان يفترض بهم أن يكونوا حولنا ، ليخففوا عنا ثقل الغياب.

بدلاً من أن يمدوا لنا يد العون ، انقضوا علينا بألسنتهم الحادة ، يعايروننا بحجم الألم الذي سببه رحيلك ، ويحكون لنا عن كيف تركتنا ، وكأننا كنا سببًا في كل شيء.

كبرت على صورة مشوهة لك ، حرمتني الحياة منك ، وحرمتني أنت ، ثم جاء من حرمني حتى من الحق في الاشتياق إليك.

كم كان قاسيًا أن نكون ضحايا لحديثهم الجارح ، وكم كان مؤلمًا أن نتساءل لماذا تخلوا عنّا ، بينما نحن ما زلنا نريدك ، حتى وإن لم تبادِلنا نفس المشاعر.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لقـــد حرمتنـــا منـــك ، حرمتنـــا مـــن وجـــودك فـــي حياتنـــا ، ومـــع ذلـــك كـــان هنـــاك مـــن يســـخر ، يســـخر مـــن ألمنـــا ، يســـخر مـــن فراغ كان من المفترض أن يمتلئ بحبك.

لكننـــا كبرنـــا علـــى هـــذه الصـــورة البشـــعة كبرنا على أن نعيش.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الرابع

مرور السنين وعتاب لا يُنسى

مـــرت الســـنين ، وكـــأن كـــل يـــوم كـــان يحمـــل بين طياته جرحًا جديدًا.

أصـــبحنا نتقابـــل صـــدفة ، فـــي الشـــارع أو فـــي أي مكـــان ، كأننـــا غربـــاء لـــم نتعـــرف على بعضنا من قبل.

حـــديثنا كـــان بـــاردًا ، عـــابرًا وكـــأن الوقـــت قـــد سرق كل شيء بيننا ، حتى الكلمات.

كنـــت أراك ، لكـــن لـــم أعـــد أعـــرف كيـــف أتحدث إليك .. كل شيء تغير.

وكنـــت تكـــرر لـــي كلماتـــك التـــي كنـــت أكـــره سماعها حينها..

كنـــت تـــأمرني أن أرتـــدي حجـــابي ، أن ألتزم.

كنـــت مراهقـــة ، لا أعـــي أن تلـــك الكلمـــات كانـــت تـــأتي مـــن قلـــب يحبنـــي ، أردت فقـــط أن أكـــون حـــرة ، أن أعـــيش كمـــا أريـــد وأنـــت فـــي تلـــك اللحظـــات ، كنـــتِ تظـــن أننـــي بحاجـــة إلـــى هـــذه التعليمـــات ، لكننـــي لـــم أكـــن أفهـــم لـــم أكـــن أرى ســـوى قيـــودك التـــي كنـــت تضعها عليّ.

لكـــن مـــع مـــرور الوقـــت كبـــرت وبـــدأت أرى الأشياء بوضوح أكبر.

وبـــدأت أنـــت تبتعـــد أكثـــر فـــأكثر ، لـــم تعـــد تلـــك اللقـــاءات العـــابرة فـــي الشـــارع تحمـــل أي تعـــد تلـــك اللقـــاءات العـــابرة فـــي الشـــارع تحمل أي دفء.

كنـــت تتجنبنـــي ، تـــرفض الحـــديث معـــي كنـــت أتمنـــى لـــو أنـــك عـــاتبتني مـــرة أخـــرى

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

ولـــو بكلمـــات قاســـية ، كنـــت أريـــد فقـــط أن تشـــعر أننـــي مـــا زلـــت بحاجـــة إليـــك ، حتـــى وإن كنت أغضب من كلامك.

لكن بعد رحيلك ، بعد أن فقدتك إلى الأب

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الخامس

حين يختبئ الحب في الصمت

ربّما كانت تلك هي طريقتك في الحب

حبٌّ لا يُقال، لا يُلمس ، لا يُظهر نفسه

كما تفعل القلوب الدافئة ، حبٌّ يختبئ

خلف القسوة ، ويتوارى في ظلال

الغياب.

كنتَ حاضرًا بجسدك ، غائبًا عنّا بكل ما

تمنيناه منك.

ورغم ذلك ، ظل في قلبي شكٌّ صغير..

ربّما أحببتنا ، ولكن بطريقتك ، على

طريقتك ، بصمتٍ يشبهك.

ربما لم تُمنح الحب في طفولتك ، فلم

تتعلّمه ، لم تعرف كيف تُهديه ، ولا كيف

تُقال كلماته ، فجاءت محبتك على هيئة

صرامة ، وأوامر ، ونظرات باردة.

لكن هل الحب الغائب عن ملامحك ، كان غائبًا عن قلبك؟

أم أنك كنت تحبّنا سرًا ، وتتألم أكثر مما نظن؟

كنتَ تبعدنا عنك ، وربما كنت تخاف أن يفضح القرب هشاشتك ، كنتَ ترفضنا بالكلمات ، لكن هل كنتَ تدعونا بقلبك؟

هل كنتَ تمنّي نفسك بقربٍ لم تعرف كيف تصنعه؟

ربما كنت تفتّش عن الحنان فينا ، دون أن تعترف بذلك.

واليوم ، وبعد أن غيّبك الموت ، أدركت أن حضورك ، رغم قسوته ، كان سندًا خفيًا.

لـــم أســـتند إليـــك يومًـــا ، لكـــن غيابـــك خلخـــل كـــل شـــيء ، كأنـــك كنـــت جـــدارًا لـــم أنتبـــه لوجوده إلا بعد أن انهار.

كنـــت أظـــن أنـــي تعـــوّدت غيابـــك ، لكـــن حـــين رحلـــت نهائيًـــا ، شـــعرت أن جـــزءًا منـــي قـــد انطفـــأ ، جـــزءًا لـــم أعـــرف بوجـــوده أصـــلا كـــان يحبـــك دون ان يـــدري ربمـــا لـــم تَحْـــكِ ولـــم تُظهـــر، ولـــم تقتـــرب لكننـــي اليـــوم ، أقـــرأ حبـــك فـــي الفراغـــات ، فـــي الصـــمت ، فـــي التباعـــد ، أشـــعر بـــك فـــي كـــل مـــا لـــم يحـــدث فـــي كـــل كلمـــة لـــم تُقَـــل ، وأعتـــرف .. ليتنـــي كنت أعرف ذلك من قبل.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل السادس

صيفٌ يشبه الحلم

من بين كل المواسم التي مرّت يبقى صيف 2021 هو الأجمل ، والأكثر حضورًا في قلبي..

كان استثناءً في علاقتنا المكسورة رقعة دفء في عمرٍ بارد.

قضينا العطلة معًا ، للمرة الأولى شعرتُ أن لي أبًا يُشبه الآباء الذين كنت أراهم في أحلامي.

لم يكن يحب الاحتفالات ، وكان صارمًا في موقفه من أعياد الميلاد.

كان يعتبرها من البدع ، وكان يرفض حتى الحديث عنها.

لكن في ذلك العام .. حدث ما لم أتوقّعه.

لأول مرة ، حضر عيد ميلادي.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لا أعلم ما الذي جعله يتراجع عن عناده لكنني لن أنسى أبدًا كيف جلس معنا كيف صنع البيتزا بيديه ، وكيف ساعدنا في تزيين الكعكة.

ورغم أنه كان يحاول أن يُبقي ملامحه متماسكة ، إلا أنني التقطت لحظة ضعف في عينيه ، لحظة دفء لم يكن يعرف كيف يخفيها.

لا أنسى كلماته حين ضحك وقال :

"أنا الآن أضيف ذنوبًا لي من أجلك فقط."

قالها وهو يضحك ، لكنه كان يقصدها وكان يُحبني.

ضحكنا كثيرًا .. التقطنا صورًا قليلة لكنها ثمينة ، وكأن الزمن سمح لنا

بـــذكرى واحـــدة فقـــط، نخبئهـــا فـــي القلـــب إن ضاعت كل الذكريات.

فـــي ذلـــك الصـــيف ، شـــعرتُ بـــدلال أبـــي شعرتُ أنه يحبني ، حتى إن لم يقلها.

كانـــت أيامًـــا بســـيطة ، لكنّهـــا تحمـــل كـــل مـــا تمنّيت لو عشته معه دومًا.

ليـــت كـــل الأيـــام كانـــت كصـــيف 2021 ليتهـــا تكـــرّرت ، أو امتـــدّت ، أو علـــى الأقـــل لـــم تكن الأخيرة.

لكـــن مـــا كـــان دفئًـــا فـــي تلـــك اللحظـــة ، انكســـر بعـــد ذلـــك بهـــدوء موجِـــع .. ربمـــا بســـبب مواقـــف لا أقـــدر علـــى البـــوح بهـــا حتـــى لنفســـي .. صـــارت المســـافة بيننـــا تمتـــدّ بصـــمت وكنـــت أراه يقتـــرب مـــن أخـــواتي يجالسهن يمازحهن ، يتحدث معهن..

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وكنت أفرح من أجلهن ، بصدق ، لأنهن نِلن شيئًا من حضوره.

لكني كنت في المقابل .. أنكسر بصمت.

كنت أراه يوزع ابتساماته وكلماته ، وأنا أقف على الهامش .. لا أطلب الكثير فقط نظرة ، نظرة واحدة منه كانت تكفي لتطفئ حزني ، لكنها لم تأتِ.

صيفٌ واحدٌ منحني الدفء ، ثم سرقته السنوات التالية بهدوء، كأنها تعتذر بصمت لا يُسمع.

الفصل السابع

مرارة الندم

النـدم..

ذاك الشـــعور الـــذي لا يهـــدأ ، لا يـــرحم ، ولا ينسى.

يســـكنني منـــذ رحيلـــك ، يلاحقنـــي فـــي لحظـــات الســـكون ، وفـــي الأحـــلام ، فـــي الصـــور ، فـــي كـــل ذكـــرى كنـــت فيهـــا بعيـــدًا وكنتُ أظنني بخير دونك.

أنـــدم علـــى كـــل مـــرة مـــررتُ بقربـــك ولـــم أحتضنك.

علـــى كـــل نظـــرة تجاهلتهـــا ، وكـــل كلمـــة كنـــتُ قادرة أن أقولها .. لكنني سكتُّ.

أنـــدم لأننـــي صـــدّقت أن الغضـــب يحفـــظ الكرامـــة ، ولـــم أفهـــم أن الغفـــران هـــو مـــن يُحيي القلب.

أنـدم لأننـي لـم أركـض نحـوك فـي تلـك المـرة الأخيـرة ، حـين وقفـتَ علـى بُعـد خطـوات وكنتَ تنتظر شيئًا ..

ربمـا سـلامًا ، أو حتـى مجـرد نظـرة لكننـي كنـت مشـغولة بجرحـي ، ونسـيت أن الجروح لا تُشفى بالتجاهل.

أشـعر بالحسـرة لأنـك رحلـت قبـل أن تسـمع منـي "أحبـك" ، قبـل أن تـرى فـي عيـوني كـم كنـت أتمنـى أن تكـون حاضـرًا ، حتـى لو بصمتك، حتى لو بعينيك الصارمتين.

ما أصعب أن تفهم كل شيء متأخرًا..

أن يفـتح المـوت الأبـواب المغلقـة ، ويجعـل مـن الصـمت ذكـرى، ومـن الغضـب نـدمًا ومنك .. أبًا تمنيت لو عرفتك حقًا.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثامن

بيني وبينك جدار صامت

كنـــتُ أراكَ كـــلّ يـــوم ، لكننـــي لـــم أكـــن أراك حقًا.

كنـــتَ تمـــرّ أمـــامي ، ثقيـــل الخطـــى ، مجهـــد النظـــرات ، وكنـــتُ أشـــيح بـــوجهي عنـــك كمن لا يريد أن يرى ما يوجعه.

لم يكن بيننا شجار ، ولا سلام.

كـــأنّ الصـــمت كـــان اتفاقًـــا غيـــر مكتـــوب نعيشـــه كمـــا يعـــيش الأســـير فـــي زنزانتـــه صامتًا ، ممتثلًا ، لا يسأل عن السبب.

وكنـــتُ أتجـــوّل فـــي تفاصـــيلك ، كمـــا يتجـــوّل الغريب في مدينة لا يفهم لغتها.

وجهـــك مـــألوف ، صـــوتك معـــروف ، لكـــن دفء الأبـــوة لـــم يكـــن فيـــك ، أو لعلّـــه كـــان ولم أكن أراه.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

كم مرّة حاولتُ أن أقترب منك؟ لا أذكر.

كل محاولة كانت تصطدم بجدار من الجليد ، كنتَ صلبًا في ردودك ، كأنك تخشى أن يراك أحد هشًّا ، وكأن الأبوة ضعفٌ يُخجلك أن تمارسه.

كبرتُ وأنا أراك، دون أن أعرفك.

كبرتُ وأنت تُصبح أكثر صمتًا ، وأنا أكثر بُعدًا.

لم نكن نختلف ، لم نتصالح ، لم نتصارح.

كأنك تكتب رسائل حبٍّ لي وتمزقها كل مساء ، وكأنني أصرخ باسمك في داخلي ثم أصمت حين تلتقي أعيننا في أعماقي ، رغبة مجنونة بأن تضمّني

مـــرة ، أن تضـــع يـــدك علـــى رأســـي ، أن تقول شيئًا .. أيّ شيء.

لكن شيئًا من ذلك لم يحدث.

وكأننا أضعنا العمر في لعبة الكبرياء.

أردنـــا أن نحـــب بصـــمت ، أن نســـامح دون كـــلام، لكننـــا لـــم نفعـــل شـــيئًا ســـوى أن بنينـــا بيننا جدارًا لا يُرى .. لكنه لا يُكسر.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل التاسع

اللحظة التي انكسر فيها كل شيء

دخلتُ المشفى بخطوات ثقيلة ، كأنني أمشي فوق فتات زجاج مكسور ، وكل خطوة كانت تنزف شيئًا من روحي وكل نبضة كانت تصرخ :

لا ، لا تفعلوا بي هذا..

رأيتك من بعيد ، ممدّدًا على السرير في رواقٍ بارد ، مغطى ببطانية رمادية لا تشبهك ، لا تشبه دفء الحياة.

هل تعلم؟ خفت أن أقترب..

خفت أن أراك ، لأنني لم أكن أريد تصديق رحيلك.

اقتربتُ ببطء .. أنفاسي كانت تتسارع قلبي ينهار بصمت داخلي ، كل ما فيَّ

كـــان يـــرفض كـــل شـــيء ثـــم أزاحـــت عمتـــي الغطاء

رأيتـــك ، حبيبـــي .. أبـــي الـــذي كنـــتُ أهـــرب منـــه ، وهـــا أنـــا الآن أركـــض إليـــه ، أتشـــبث به كطفلة ضائعة.

صرختُ .. أبي .. سامحني..

أردتُ أن أكلمـــك اليـــوم ، أقســـم أننـــي كنـــت سأتصـــل ، انهـــض ... أرجـــوك انهـــض فقـــط لحظة ، فقط كلمة ، فقط نظرة."

احتضـــــنتك بجنـــــون ، كنـــــت أرجـــــوك أن تســـتيقظ ، كنـــت أحـــاول أن أوقظـــك .. لكـــن لا جدوى.

كنـــت قـــد مـــتَّ حقًـــا ثـــم .. لا أعلـــم مـــاذا حـــدث لي.

كـــل شـــيء تلاشـــى ، كـــأنني صُـــدمت ، كـــأنني انفصلت عن الحياة.

جفّت دموعي ، ورفضت بكاء الجميع.

كنت أدفعهم بعيدًا...

"لا تقتربوا منه!"

"لا تبكوا عليه!"

"هـــو لـــم يمـــت ... ســـأخذه معـــي الآن وسنعود إلى البيت."

لـــم أســـمح لهـــم أن يغطّـــوا وجهـــك ، رفضـــت كلمات العزاء ، رفضت كل شيء.

كنـــت فقـــط أريـــدك .. كـــأنني أحـــاول أن أوقـــف الـــزمن ، أن أعيـــده ، أن ألغـــي الحقيقـــة .. لكـــن الحقيقة كانت أقسى من كل شيء...

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل العاشر

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

النظرة الأخيرة

بقيتُ أقبّل جثتك...

كأني أبحث فيك عن الحياة ، عن نبضة عن معجزة.

لم أكن أريد أن أتركك ، كنتُ أريد أن أبقى إلى جوارك للأبد.

كنت أعلم أنهم سيأخذونك .. كنت أشعر أن الوقت يسرقني منك ففقدت السيطرة على نفسي ، لم أعد أعرف ، هل أواسي إخوتي؟

أم أواسي قلبي المكسور؟

أم أطفئ نار الندم التي كانت تحرقني بصمت؟

خرجتُ من المشفى أركض ، أُسابق الزمن ، بدّلت ملابسي بسرعة ، وعدتُ

إليـــك ، وقبلـــتُ جبينـــك قبلـــة الـــوداع ، نظـــرتُ إليـــك نظـــرة أخيـــرة حاولـــت أن أُجمّـــد فيهـــا اللحظـــة ، أن أطبـــع ملامحـــك فـــي ذاكرتـــي أن أسرق منك بعض السلام.

غبـــتُ عنـــك دقـــائق قليلـــة .. فقـــط لأغســـل وجهـــي مـــن دمـــوع لا تتوقـــف ، وحـــين عدت لم أجدك.

بحثتُ عنك في كل ركن

ثم رأيتهم ... يأخذونك.

هل تعلم إلى أين؟

إلـــى ذاك المكـــان البـــارد ، حيـــث تُتـــرك الأجساد ، بلا دفء ، بلا وداع.

خفـــت عليـــك .. نعـــم ، خفـــت أن تشـــعر بـــالبرد ، خفـــت أن تســـتيقظ وتجـــد نفســـك.

وحيـــــدًا ، خفـــــت أن تنـــــاديني ولا أكـــــون هناك.

ركضـــــت خلفهـــــم، أصـــــرخ .. أرجـــــو أستجدي:

"أرجوكم .. فقط نظرة .. فقط لحظة!"

لكـــــنهم لـــــم يتوقفـــــوا ، كـــــانوا يســـــيرون بسرعة كأنهم لا يحملون أحدًا نحبه.

حتـــى أوقفهـــم ابـــن عمـــي .. نظـــر إلـــيّ ، ثـــم أشـــار لهـــم أن يتريثـــوا .. اقتربـــت وقفـــت أمامـــك ، نظـــرت إليـــك .. نظـــرة أخيـــرة حملـــت كـــل مـــا عجـــز لســـاني عـــن قولـــه ، كـــل الحـــب ، كـــل الغفـــران ، كـــل الانكســـار ثـــم انطفأ كل شيء.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الحادي عشر

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

ساعات الانتظار والوداع الأخير

ساعتان من الانتظار أمام مصلحة حفظ الجثث .. لا شيء في الدنيا أثقل من وقتٍ تنتظر فيه من لن يعود.

الزمن كان يتسكّع بلا رحمة ، يحدّق في وجهي كأنّه يسخر من لهفتي ، كأن كل دقيقة كانت تقول لي : "لن تجد فيه حيًّا فلم العجلة؟"

قالوا لي : "اصبر .. لم يحن الوقت."

وكأن الفقد له مواعيد ، وكأن الحزن لا ينفجر إلا بإذنٍ رسمي.

جلست على كرسي بارد كقلب الحياة حين تُقرّر أن تنتزع منك الأبوة ، وكان قلبي ، في تلك اللحظة ، بلا مقعد

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

يتدحرج بين الضلوع كشيء تائه ثم جاء السماح بالدخول.

فُتح الباب كأنّه يُفضي إلى عالمٍ آخر عالم لا ضوء فيه ولا عودة منه دخلت..

وكنت أنت هناك ، ساكنًا كما لم أعرفك من قبل ، غائبًا عن كل الضجيج الذي بيني وبينك منذ سنوات ، وغائبًا عن نفسك ، عن غضبك ، عن صوتك .. عن الحياة.

وجهك كان هادئًا بشكلٍ مُخيف ، كأنك اعتذرت للعالم أخيرًا ، ثم غادرت بصمت.

عيناك مغمضتان ، لا ندم فيهما ولا وداع.

ويـــداك ســـاكنتان .. لـــم تلـــوّح لـــي كمـــا كنـــت أفعـــل كلمـــا رغبـــت فـــي أن تقتـــرب .. اقتربـــتُ منك ، ولم أعرفك.

أنت .. ولكنك لست أنت.

كل شيء فيك كان يُشبهك إلا الحياة.

وقفـــتُ إلـــى جـــوارك ، وكـــان قلبـــي يرتجـــف كعصفورٍ بلّلته العاصفة.

أردت أن أضـــمّك لكـــن ذراعـــيّ تجمّـــدتا مـــن الرعـــب ... مـــن الـــذنب ... مـــن الوحـــدة التي كنت أُحاول إنكارها طوال عمري.

أردت أن أصرخ فيك :

"عـــد ، أرجـــوك ... قـــل لـــي أي شـــيء عـــاتبني ، اغضـــب ، لكـــن لا تصـــمت بهـــذا الشكل."

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لكنّـــي كنـــت أنـــا الآخـــر صـــامتًا ، صـــوتي عـــالق فـــي حلقـــي ، وكـــأنّ البكـــاء كـــان كثيـــرًا لدرجة أنه لم يجد مخرجًا.

همست لك ، بصوتٍ لم يسمعه أحد :

"ســـــامحتك ، يـــــا أبـــــي ... وســـــامحني لأننـــي جئتـــك متـــأخرًا بكـــل الحـــب الـــذي لـــم تعرفه مني."

كانـــت الهمســـات تـــرتعش ، تتعثـــر، فمـــا أصعب أن تبوح أخيرًا .. لمن لا يسمعك.

جلســـتُ قلـــيلًا ، شـــعرت أننـــي أنســـلخ مـــن روحـــي ، أن شـــيئًا انكســـر داخلـــي ولـــم يُصـــدر صـــوتًا ، بـــل ارتـــجّ فـــي أعمـــاقي كزلـــزالٍ صـــامت خرجـــتُ مـــن الغرفـــة وأنـــا أحمل نعشك في صدري ، لا على كتفيّ.

كنتُ أثقل من أي يومٍ مضى ، وكأن كل السنوات التي عشتها دونك عادت لتُثقل لحظة وداعك.

ثم مشيت ... إلى بيت العزاء ، ذلك المكان الذي لا يعزّيك ، بل يُعيد موتك مرارًا.

الوجوه تُسلّم وتُمطرك بكلماتٍ محفوظة وأنت ... لا تزال ممدّدًا في ذاكرتي ، لا تُجيب.

كل لحظة هناك كانت خنجرًا ، وكل كلمة "البقاء لله" كانت تُذكّرني أنني فقدتك حقًا.

وحين انتهى كل شيء ، خرجتُ من بيت العزاء ، لكن لم يخرج أحدٌ من قلبي.

كنت هناك .. وما زلت.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثاني عشر

بيت العزاء .. حيث يموت الوداع ألف مرّة

دخلتُ بيت العزاء كمن يدخل قفصًا من دخان.

الوجوه تتكرّر، الكلمات تتكرّر ، والدمع نفسه ... يتكرر في كل عين ، لكنه لا يشبه دموعي.

كانت المقاعد مرصوفة كالقبور ، وكل من يجلس عليها ، يربّت على الألم كأنّه أمرٌ هيّن :

"كان طيّبًا" ، "الله يرحمه" ، "صبركم الله"..

لكن لا أحد قال : لقد انكسر هذا الابن وتمزّق هذا الأخ ، وضاع هذا البيت.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لا أحـــد رأى قلبـــي وأنـــا أُمســـك جـــدران العزاء كي لا أنهار.

ولا أحـــد رأى أخـــي ، وقـــد تحـــوّل إلـــى ظـــلّ جالسًـــا هنـــاك فـــي الزاويـــة ، عينـــاه لا تحـــدّقان فـــي شـــيء ، لأنـــه رأى كـــل شيء...

رأى المـــوت وهـــو يزحـــف ، ووالـــده يُســـحب مـــن بـــين يديـــه كمـــا يُنتـــزع الـــنفس مـــن صـــدرٍ حيّكـــان يرتجـــف بصـــمت ، كـــأن المشـــهد مـــا زال يُعـــرض أمامـــه ، كـــأن صـــوت أبـــي وهـــو يختنق لم يغادر أذنيه.

لـــم يكـــن بحاجـــة للحـــديث ، فقـــد تكلّـــم جســـده عنه...

وكـــان فـــي كـــل حركـــة مـــن حركاتـــه روايـــة موتٍ صامتة.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أما أنا ، فكنت أختنق من الداخل.

كل من جاء ليصافحني ، وكل من قال لي "اصبري ، هذا قضاء الله" ، كنت أنظر إليه وأقول في داخلي :

ليس القضاء هو ما سرق أبي ... بل الجرّار.

نعم ... الجرّار.

هذا الشيء الحديدي اللعين الذي سلبني أبي ، الذي داهمه كغدرٍ خفيّ لا يرحم هذا الكائن الأحمق ، الأصم ، الذي لم يُمهله دقيقة ... لم يُمهلنا وداعًا.

كيف أصفه؟ كيف ألعنه دون أن ينكسر لساني؟

لقد دهسني أنا ، لا أبي فقط.

مـــرّ فـــوق قلبـــي ، فـــوق حيـــاتي ، فـــوق أيامي القادمة.

أنـــا الآن ابـــنٌ بـــلا أب ، وســـأبقى أكرهـــه أكرهه كما لم أكره شيئًا في حياتي.

وكل من في العزاء كانوا يتحدّثون :

عـــن الحـــادث ، عـــن التفاصـــيل ، عـــن آخـــر لحظـــات ، عـــن مـــن وصـــله الخبـــر ، عـــن مـــن حمل الجثمان...

وأنا؟

كنت أريد أن أصرخ :

كفـــى! لا أحـــد مـــنكم يعـــرف مـــاذا يعنـــي أن تفقد أباك فجأة.

فـــي ذلـــك البيـــت، لـــم يكـــن هنـــاك عـــزاء ، كـــان هنـــاك مـــوت يتجـــدّد فـــي كـــل لحظـــة ، حـــزن يُعاد عزفه مع كل خطوة ، وأب غائب...

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لكنّــه حاضــرٌ فــي كــل شــهقة ، فــي كــل دمعــة في كل لعنة.

وخرجت من هناك ، كما دخلت :

مكســـورًا ، أحمـــل نعشـــك فـــي قلبـــي ، ولا أجد كتفًا أسند عليه هذا الوجع الثقيل.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الثالث عشر

ثقل الأيام ... وذاك الركن الذي لم يتغيّر

انتهت أيام العزاء ، غادر الناس سُحبت الكراسي ، طُويت السجادات وخفت صوت القرآن الذي كان يُملأ الفراغ.

لكن الفراغ الحقيقي لم يُغادر ، بل تمدّد في البيت كله ، صار أثقل من أي صمت وأشدّ حضورًا من أي ضجيج.

كنت أمشي في البيت وكأنني أدوس على زجاج الذكرى.

كل زاوية تُوجعني ، كل قطعة أثاث تُحدّق بي ، كأنها تشهد على الغياب وتُصرّ على أن تُذكّرني به.

وحين فتحت باب غرفته .. كأن الزمن تجمّد عند حافة سريره.

الهواء كان مشبعًا برائحته ، نفس الرائحة التي كنا نشمّها ونحن نرتمي على صدره في لحظات نادرة من الحنان الرائحة التي لا تُوصف ، لكنها تُحفر في الذاكرة كأنها اسمٌ آخر له كل شيء في الغرفة كما تركه ، أشياؤنا ما زالت هناك..

رغم أنها قديمة ، باهتة ، متشققة ، لم يتخلّص منها ، لم يسمح لأحد أن يلمسها.

اللوحة الصغيرة التي صنعتها بيدي وأنا طفلة ، حروف مائلة ، ألوان مبعثرة

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

لكنهـــا لا تـــزال معلّقـــة علـــى الحـــائط ، نظـــرتُ إليها ... وانهارتني ابتسامة باكية.

كـــم ضـــحك علـــيّ حـــين علّقتهـــا ، وكـــم أصـــرّ علـــى أن تبقـــى فـــي مكانهـــا رغـــم كـــل مـــا قيـــل له عن "الديكور".

أدراجـــه مليئـــة بأوراقنـــا، برســـوماتنا ، حتـــى الألعاب الصغيرة

وفـــي القلـــب ... لـــم يكـــن المـــوت وحـــده مـــا يوجـــع ، بـــل هـــذا البقـــاء العنيـــد للأشـــياء كمـــا كانـــت كأنهـــا تصـــرّ علـــى مقاومـــة الغيـــاب كأنها تنتظرنا ... نحن ، لا هو.

كم مرّ من السنوات؟

كثيـــرة لكـــنّ الغرفـــة لا تعـــرف العـــدّ ، اللوحـــة لـــم تســـقط ، الرائحـــة لـــم تـــذبل ، والحـــبّ ... لم ينقص منه شيء.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الرابع عشر

العاشر من أفريل .. حين توقّف كل شيء

عدتُ من بيت العزاء ، كما يعود العابر من حطام مدينةٍ قُصفت من الداخل.

لم أعد ابنتك فقط ، عدتُ كومة رمادٍ بشرية ، تحاول أن تتّخذ شكل الإنسان لكنها لا تستطيع أن تخدع المرآة ولا قلبها.

كل شيء حولي متماسكٌ بشكلٍ مُخيف الجدران كما هي، الأبواب كما هي ، لكنّ قلبي تهدّم ، وانبعجَ في داخلي الزمن.

العاشر من أفريل 2025 ، الساعة 11:38 صباحًا ، توقيتٌ لن يمحوه شيء ، فيه انخلعَ قلبي من بين ضلوعي

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وانطفـــأت النيـــران التـــي كنـــت أظنهـــا تحميني.

مـــات أبـــي .. مـــات الســـند الـــذي لـــم يســـندني الكتـــف الـــذي لـــم أمـــل عليـــه رأســـي يومًـــا الضـــوء الـــذي لـــم يســـطع .. لكنـــه حـــين غـــاب حلّ ظلامٌ لا يُطاق.

مـــات عمـــود بيـــتٍ لـــم يكـــن يومًـــا عمـــودًا مـــات صـــوته الغائـــب أصـــلًا ، لكنّـــي مـــا زلـــت أبحث عنه في كل الأصوات.

لـــم يبـــقَ لـــي منـــه ســـوى حكايـــاتٍ متآكلـــة وصـــورةٌ قديمـــة لا يشـــبهها الآن ، وذاكـــرةٌ مثقوبـــة تســـكنها أشـــياء لـــم نفهمهـــا يومًـــا وجُرحٌ مفتوح .. اسمه "لماذا؟".

صـــرت أُعيـــد ترتيـــب مشـــاهد الطفولـــة كمـــن ينـــبش قبـــرًا ، أحـــاول أن أخلـــق لـــه أعـــذارًا

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

مـــن لا شـــيء ، أن أفـــتّش عـــن بصـــمة حـــبٍّ خلف قسوته،

أن أقـــول : ربمـــا .. فقـــط ربمـــا كانـــت هـــذه طريقته في أن يحبّ.

مـــرّ أســـبوعٌ علـــى غيابـــك ، وغـــرق النـــاس فـــي روتيـــنهم المعتـــاد لكنّـــي مـــا زلـــت عالقـــة هنـــاك ، فـــي تلـــك الدقيقـــة المشـــؤومة.

11:38اللحظـــة التـــي لـــم تمـــت فيهـــا وحـــدك بل مات كل ما تبقّى فيّ.

لـــن أنســـى شـــهقة أخـــي وهـــو يُمســـك بـــك ولا تســـتطيع أن تجيبـــه ، ولـــن أنســـى تلـــك الليلـــة... حـــين غســـلتني الـــدموع ، لا المـــاء حـــين بلّلـــت وســـادتي بنشـــيجٍ لا صـــوت لـــه حـــين بكيتـــك كمـــا لا تبكـــى الأبـــوة .. بـــل كمـــا يُبكى العُمر.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

شـــيءٌ فـــيّ انطفـــأ... كشـــمعةٍ تُطفـــأ لا لفـــراغ الهواء ، بل لفراغ الأمل.

وكلمـــا حاولـــتُ أن أُشـــعل النـــور مـــن جديـــد انكسر الكبريت في يدي.

ربمـــا هـــذا قـــدري ، أن أعـــيش بنصـــف روح أن أكـــون الحيّـــة التـــي لا تعـــيش ، وأن أبـــدو بخيرٍ في عين الناس،

لكنّي في الحقيقة ما زلت هناك...

أعـــيش اليـــوم ذاتـــه ، أتـــنفّس الصـــدمة ذاتهـــا أكتب عنك .. لأن لا شيء يكتبني سواك.

ومـــع كـــل هـــذا ، أنـــا أعـــرف أننـــي لـــم أقـــل وداعـــي الأخيـــر بعـــد ، فمـــا زال فـــي قلبـــي كـــلامٌ مؤجـــل ، ومـــا زالـــت بينـــي وبينـــك صـــفحة لـــم تُطـــوَ... ومـــا زال اللقـــاء المنتظـــر ، هو كل ما أملك من حياة.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الخامس عشر

حين تحدثتُ إليه .. أخيرًا

جلستُ أمام قبره ، لا حول لي ولا صوت.

لا أحد حولي ، ولا رغبة في أن يكون كان الوقت هادئًا كأن الحياة توقّفت لتفسح لي المجال أن أقول .. كل ما لم أستطع قوله حين كان يتنفّس.

مرّ زمنٌ طويل على رحيلك يا أبي لكنّي ما زلت تلك الطفلة التي وقفت أمامك يومًا تنتظر كلمة ، حضنًا ، أو حتى التفاتة.

كبرتُ ، لكن الانتظار لم يكبر .. نضجتُ لكنني ما زلتُ أفتّش عنك في كل الأماكن التي لم تحضر فيها.

تعلّمتُ أن أبدو بخير .. أن أضحك ، أن أُجيب ، أن أكتب ، أن أنجح .. لكن لا أحد يعلم أنني في داخلي متوقفة عند تلك اللحظة الساعة 11:38 ، حين ماتت أشياء كثيرة معك ، أشياء لا تُدفن في التراب ، بل تظلّ معلقة في صدر من بقي حيًّا.

أردتُ أن أكرهك ، ولم أستطع.

أردت أن أغفر لك ، ولم أُجِد الطريق.

كنتَ قاسيًا ، غائبًا ، صامتًا .. لكنك كنت أبي.

والمصيبة الكبرى أن القلب لا ينسى حتى إن حاول.

كل ما لم تقله .. قلته عنك كل ما لم تفعله .. حملته وحدي.

كـــل مـــا انتظرتـــه منـــك .. أهـــداني الله بعضـــه من غرباء.

أنـــــا لا أكتـــــب إليـــــك الآن لتعتـــــذر ، ولا لأعتذر..

بـــل لأننـــي مـــا عـــدت أحتمـــل هـــذا الصـــمت بيننـــا ، مـــا عـــدت أحتمـــل أن أبكيـــك دون أن تسمع ، أن أعاتبك

وأحبك الآن أكثر مما أحببتك حيًّا.

غـــادرتَ قبـــل أن نتصـــالح ، لكنّـــي لـــن أســـمح أن أغادر أنا وفي قلبي خصومة.

لهذا أكتب

لهذا أقول

ولهذا أُغلق هذه الصفحات...

لا لأن الوجع انتهى

بـــل لأننـــي لـــم أعـــد أرغـــب أن أعـــيش فيـــه وحدي.

نم بسلام يا أبي..

فأنا أخيرًا..

تحدثت إليك.

اخر كلماتك ابي..

كتبتَهـــا بخطّـــك المرتجـــف ، فـــي كراســـة مهملة

كأنـــك كنـــت تعلـــم أن اللحظـــة تقتـــرب ، وكـــأن قلبـــك خـــاف أن يرحـــل دون أن يتـــرك لـــي نورًا أتبعه..

وهـــا أنـــا أقرؤهـــا الآن ، كمـــن يضـــع أذنـــه علـــى حجـــر قبـــر ، فيســـمع فيـــه الحيـــاة : إذا انكســـرت .. اســـجد لله وقـــل : يـــا جبّـــار اجبرني.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

وإذا انظلمـــت ... اســـجد وقـــل : يـــا عـــدل انصرني.

وإذا احتجـــت... اســـجد وقـــل : يـــا مجيـــب أجبني.

وإذا ارتجف قلبك شوقًا للحب

فلن تجد قلبًا جديرًا به سوى الله.

أعظـــم المصـــائب أن يمـــوت الخـــوف مـــن الله في قلبك وأنت على قيد الحياة ..

فـــاللهم ارزقنـــا حســـن الخاتمـــة .. تـــدمير إنسان قد يستغرق دقيقة

والإعجاب به ساعة

ومحبّته أيامًا..

لكـــن مســـامحته علـــى جـــرحٍ قـــد يســـتغرق عمرًا بأكمله.

اللهـــم لا تبتلينـــا بأولادنـــا ، ولا ترِنـــا فـــيهم مكروهًا.

وبـــارك لنـــا فـــي أعمـــارهم ، وارزقهـــم واجعلهـــم لنـــا ذريـــةً صـــالحة يـــا رب .. ثـــم إن الأب ك أينما بزخ يروي ويُزهر.

لا عزّ كعزّ الأب، ولا حبّ بعد حبّه.

الأب رجـــل لا يتكـــرّر فـــي الحيـــاة ، ولا يُغنـــي عنه أحد...

هـــو معطـــف الأمـــان فـــي ليـــالي العمـــر الباردة.

يـــا راحلـــين .. لقـــد اشـــتقنا لـــرؤيتكم ، ومـــا لنـــا حيلـــةٌ فـــي الوصـــول و النظـــر ، وعزاؤنـــا مـــن بعـــد غيبـــتكم فـــي ذمّـــة الله ، لا فـــي ذمّـــة البشر.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

هكـذا تكتمـل الحكايـة ، ولكـن لـيس الـوداع فمـا زلـتُ أحـتفظ بـك فـي مكـانٍ لا يُـرى فـي القلـب حيـث لا يَفنـى .. وأنـتَ دائمًـا بين يديّ.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الخاتمة

ورحل..

رحـــــل دون وداع ، دون نظـــــرة أخيـــــرة دون كلمـــة تســـكن وجعـــي أو عنـــاق يُطفـــئ حرقة الغياب.

ســـنوات مـــرت ، ولـــم نكـــن قـــريبين ... لا كلمـــات ، لا جلســـات ، لا أســـرار تُقـــال بـــين أب وابنته.

لكـــن المـــوت ، ذلـــك الســـارق الصـــامت علّمنـــي شـــيئًا واحـــدًا : أن الاشـــتياق لا يحتـــاج إلـــى لحظـــات كثيـــرة ، بـــل يكفـــي فقـــدٌ واحد لينهش كل ما تبقى في القلب.

أشـــتاق إليـــك ، رغـــم البُعـــد ، رغـــم الصـــمت الطويـــل ، رغـــم الغربـــة التـــي نســـجت بيننـــا جدارًا من الغموض.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

أشتاق إليك كما لو أنك كنت كل شيء وكأن قلبي يرفض التصديق أن الوقت انتهى قبل أن نبدأ.

لم أرك حين كنت بحاجة إليك ، ولم أسمع صوتك حين كانت الحياة تضجّ في صدري بالأسئلة ... ومع هذا ، كل نبضة في صدري الآن تهمس باسمك.

ليتك تعلم أنني سامحتك .. وسامحت الحياة التي أخذتك قبل أن تمنحني لحظة حقيقية معك.

ليتك تعلم كم أفتقدك ، كم أكتب عنك وكم أبكيك بصمتٍ لا يسمعه أحد.

نم بسلام ، يا من كنت غائبًا عن أيامي وحاضرًا في كل أحلامي.